عهد الأتقياء .. حديث ملك لحمامة سلام

رصده: عادل المالكي

يطير الحمام .. يحط على كف السلام .. يغني أناشيد الأمان .. يهيم سربا إلى قلب المحبة .. روح السلام .. رسول السلام.

الحكاية تعود إلى ما قبل عقدين من الزمان وأكثر .. حين حضر خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز «ولي العهد آنذاك» حفلا شعبيا في العام ١٤٠٨هـ.

في ذلك المساء .. في قمة الصخب والهتافات .. اقتربت منه حمامة بيضاء .. خطت بهدوء ووقار .. إلى حبيب الناس وصديق الشعوب .. الداعي إلى حوار الأديان.

كانت خطواتها تنوي أن تتخذ من كفيه محطة لها .. رمقها الملك الإنسان بنظرة .. فبادلته الحب من فورها .. كان يعي وهي تعلم .. أن بين ثنايا أيام الدهر المتسارعة لقاء بينهما .. وحكاية تآلف يجمع فيها عبدالله الإنسانية على جناحيها .. متيقنة أن القلوب الزاهية تعشق بعضها .. وموقنة أن البياض لغة تترجمها وتعيها أفئدة أولي الألباب .. أولئك الذين يحملون بين حناياهم قلوبا كالسحاب.. صافية كالسماء.

الحكاية لم تكن حلما عابرا .. استوجبت أحداثه البحث عن مفسر لتأويله .. أو أبجدية رواية منسوجة من خيال .. تحرك أيدينا نحو فهرسها لنبحث عن مناسبة الفعل وصفة المكان.

تلك الرفرفة على صفحات «اليوتيوب» عانقتها قلوب قرابة الثلاثة ملايين مشاهد .. قبل أن تختزله أعينهم .. تحكي تفاصيل حديث طمأنينة دار بين ملك صالح وحمامة سلام.

تلك المتوشحة بالبياض .. اختارت أن يكون قلبه محطة انطلاقها نحو العالم .. تحمل أمانيه في زجل .. وينقل رسالتها في إصرار وحرص وحكمة وحنكة قائد عظيم.

حطت فوق كفيه وفي قلبها حديث .. وبين أجنحتها حلم .. وفي صوت هديلها أمنيات .. أن تمسح الظلام بالنور .. وأن يعم السلام والحياة ... كل شبر فوق الأرض وتحت السماء.

تلك هي لغة الطيور وأمنيات الفضلاء من البشر .. سألت الملك بلغة لا يعرفها سوى الأنقياء:

سئمت الحروب الطاحنة ..
أعياني الظلام ..
أصبحت تائهة في الفضاء ..
أما آن للنار أن تخمد؟!
ويكف الجمر عن إحراقنا؟!
أما آن للأيام أن تحتفل؟!
أما آن للأطفال أن يفرحوا؟!
أما آن للأضغان أن تموت؟!
ويدفن العدوان حيا .. أو يموت؟!
أريد السلام ..
أريد الوئام ..
فما عاد للظلام في قلبي مكان!!

أسارير حمامة حالمة .. حملتها في همس إلى قلب الملك الإنسان .. ربت على طهر قلبها .. ومسح على نبضها مانحا إياها عهد الأتقياء .. من لا يعرف نبضهم إلا النقاء.

أطلقها إلى الفضاء لتحتفل .. وبدأ يخطط لهزم الطغيان بحنكة العظماء .. ورجاحة عقول النبلاء.. انطلق متجولا في بلدان العالم ناصحا .. مؤسسا لقواعد الحوار بين أتباع الأديان .. ومكرسا لمفهوم أحاديث العقول التي تحيط بها النوايا الصادقة.

أبحر الملك الإنسان بعد أن أسس للحوار في وطنه مركزا .. ليؤكد للعالم بأكمله .. أن القوة سلاح الضعفاء .. وأن رحى الحروب لا تأتي بخير .. حلق ربان الحوار مؤكدا .. أن لغة التحاور قيمة مشتركة للإنسانية .. أساسها العدل .. العقل .. التسامح .. والتصالح .. لغة تتحدى ضيق الأفق ... الانغلاق ... الجهل .. والتحديات المتنامية المنذرة بالمزيد من المشكلات على اختلاف أنواعها.

نادى حامل لواء العقل والحكمة من منابر محلية وعالمية بمبدأ الحوار .. وأدان فكرة صراع الحضارات وصدام الثقافات .. داعيا إلى التعايش السلمي البناء .. عبر حوار حقيقي .. يحترم كل طرف فيه الطرف الآخر .. ويجل كل عرق مقدسات وعقائد وهوية الآخرين .. مشددا على ضرورة إزالة الحواجز التي تقف بين الخير في الطبيعة الإنسانية .. والشهوات .. والمصالح الضيقة .. وأن الأديان الرئيسية في العالم .. والفلسفات والمدارس .. جاءت بالتفكير من مختلف التخصصات والاتجاهات .. إلى استنتاج مفاده أن جوهر التقدم يكمن في التواصل .. والحوار بين أبناء المجتمع الواحد .. والمجتمع البشري بأسره .. مؤكدا أنها نقطة الانطلاق لتحقيق .. وتوسيع نطاق التنمية البشرية في جميع نواحي الحياة.

الملك الإنسان قال ذات مناسبة إن الإرهاب والإجرام أعداء الله .. وأعداء كل دين وحضارة .. وما كانا ليظهرا لولا غياب مبدأ التسامح .. والضياع الذي يلف حياة كثير من الشباب .. إن حوارنا الذي سيتم بطريقة حضارية كفيل . بإذن الله . بإحياء القيم السامية .. وترسيخها في نفوس الشعوب والأمم .. ولا شك أن ذلك سوف يمثل انتصارا باهرا لأحسن ما في الإنسان على أسوأ ما فيه .. ويمنح الإنسانية الأمل في مستقبل يسود فيه العدل والأمن والحياة الكريمة على الظلم والخوف والفقر.

وبعد نحو ٢٥ عاما على لقاء رجل السلام بلا منازع .. وحمامة السلام الأبيض النقي .. تعود الروح لها وهي تباهي .. بأن الله سخر لها من يحقق أمنياتها .. إذ أصبحت رمز ملك أعلن الحوار بين أتباع الأديان .. وطالب الأمم بالتآلف والتعاضد .. وأن تتخلى البشرية عن شريعة الغاب .. ليعم الحب .. والسلام حياة الشعوب على أرض اختارهم الله لإعمارها .. والتنعم بمكتسباتها في هدوء وأمان.

ثمن دوره في خدمة قضايا شعبه وأمته .. أمين منظمة المؤتمر الإسلامي لـ عكاظ:

جهود الملك عبدالله طوت خلاف الفرقاء المسلمين

فالح الذبياني (جدة)

أكد أكمل الدين إحسان أوغلو الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي أن خادم الحرمين الشريفين قاد حركة من الإصلاحات المهمة شملت كل الجوانب الحيوية في البلاد وأسهم في تلبية احتياجات العصر الحديث ومتطلباته. وأوضح أن عهد خادم الحرمين الشريفين شهد تنفيذ مشروعات كبرى في خدمات الحج في مكة والمدينة للزيادة في راحة المصلين والحجاج والمعتمرين. وتطرق الأمين العام إلى الجهود التي بذلها خادم الحرمين الشريفين في تعزيز وحدة المسلمين مؤكدا أنه قام ببذل الكثير من المساعي الشخصية لحل الخلافات والمشاكل التي تطرأ بين الحين والآخر بين بعض الدول أو الفرقاء المسلمين.

سلسلة الإصلاحات

● تحل الذكرى السابعة لتولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم في المملكة، كيف تنظرون لهذه المناسبة؟

○ تميز العهد الميمون لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بارتفاع وتيرة النهضة التنموية التي طالت جميع المرافق. وقد تضافرت هذه الجهود الكبيرة مع حركة دائبة لسلسلة طويلة من الإصلاحات التي شملت كل الجوانب الحيوية في البلاد أسهمت في تلبية احتياجات العصر الحديث ومتطلباته العديدة، بما يشمل ايضا الإصلاحات الإدارية التي شهدت تطورا ملحوظا، وعملت على تقريب الخدمات الحكومية إلى المتلقين من أبناء الشعب. كما توالت التوجيهات السامية التي تؤصل للحكم الرشيد للشورى، وترسي دعائمه، وتميز العهد السعيد لخادم الحرمين الشريفين أيضا بالقيام بمشروعات كبرى في خدمات الحج في مكة والمدينة للزيادة في راحة المصلين والحجاج والمعتمرين.

أركان التضامن

● لخادم الحرمين الشريفين جهد بارز في رأب الصدع، وتوحيد كلمة المسلمين، كيف تقرأون ذلك، وهل لنا أن نستعرض أبرز مواقفه؟

○ دأب خادم الحرمين الشريفين منذ أن تلقى مقاليد الحكم على الاهتمام المتواصل بشؤون العالم الإسلامي، والسعي الحثيث لترسيخ أركان التضامن الإسلامي، والدفاع عن مصالح الأمة الإسلامية، والعمل على تحقيق وحدة الصف الإسلامي، ورفعة شأن الأمة وقضاياها العادلة.

وقد قام ببذل الكثير من المساعي الشخصية لحل الخلافات والمشاكل التي تطرأ بين الحين والآخر بين بعض الدول أو الفرقاء المسلمين. ويؤثر عنه حرصه على رأب الصدع فيما بين الخصوم بكيفية مجدية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر خطواته المباركة لإصلاح ذات البين بين الأشقاء الفلسطينيين في كل من فتح وحماس، رغبة في تعزيز موقف الفلسطينيين على المستوى الدولي، وحماية مصالحهما.

سخاء معروف

● كيف تنظر منظمة التعاون الإسلامي لدور المملكة في معالجة قضايا العالم الإسلامي اقتصاديا، اجتماعيا، أمنيا، سياسيا؟

○ دأبت حكومة خادم الحرمين الشريفين على تقديم الدعم والمساعدة للدول الإسلامية في جميع الميادين كلما تطلب الأمر ذلك، وقد أثر عن المملكة سخاؤها المعروف في نصرة القضايا الإسلامية ورعايتها بما عرف عن المملكة من المواقف المشرفة في هذا المجال.

وقد شملت هذه المواقف الشؤون السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية، حيث كانت المملكة في طليعة الدول التي تنبري دائما لبذل العون والمساعدة.

○ الملك عبدالله مستقبلا إحسان أوغلو في إحدى المناسبات. ○

معالجة الخلل

● ما هي أوجه الدعم التي قدمها خادم الحرمين الشريفين لمنظمة التعاون الإسلامي؟ وما هي أبرز المشروعات التي تعمل أو عملت على تنفيذها المنظمة وكان للمملكة دور كبير وبارز فيها؟

○ أوجه الدعم التي قدمها خادم الحرمين الشريفين لمنظمة التعاون الإسلامي كبيرة وعديدة، ومن هذه المساعدات وضع بناية كبيرة تحت تصرف الأمانة العامة للمنظمة لتكون المقر المؤقت لها، بما حسن من أداء المنظمة بعد أن عانت من الضيق وعدم توفر المرافق الضرورية للسير الحميد للعمل. أما في مجال أنشطة المنظمة سياسيا على المستوى الدولي، فقد دعا خادم الحرمين الشريفين إلى عقد مؤتمر قمة إسلامية استثنائية للدول الأعضاء في المنظمة في شهر ديسمبر ٢٠٠٥ لمعالجة الخلل في وضع العالم الإسلامي وتلبية المتطلبات الضرورية لمواجهة تحديات العصر الجديدة. وكان لي شرف التعاون مع صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية لتنفيذ هذه الرغبة السامية. وبدأنا العمل لوضع خطة العمل العشرية لتكون منهاجا شاملا ومتكاملا للنهوض بالعالم الإسلامي من جميع الجوانب، وتصحيح مسار العالم الإسلامي نحو التنمية المستدامة، والحكم الرشيد، ومحاربة التطرف والإرهاب ومناهضة الفقر والتخلف. كما طالب البرنامج بتعديل الميثاق الذي طال عليه الأمد. وقد أعاننا إقرار هذا البرنامج العشري على الانطلاق في عمليات الإصلاح الكبرى التي قمنا بها، وتوسيع نطاق أنشطتنا في علاقاتنا مع المنظمات الدولية بما جلب للمنظمة الاحترام والتقدير على المستويات الداخلية والدولية.

وقد تفضل خادم الحرمين الشريفين بوضع حجر الأساس لبناء المبنى الجديد لمقر المنظمة الذي تعهد خادم الحرمين الشريفين ببنائه، وتم إثر ذلك إجراء مسابقة دولية لاختيار أفضل تصميم لهذا المقر.

ولما كان الوضع الدولي يوحي بازدياد التوتر بين العالم الإسلامي والغرب إثر بروز ظاهرة كراهية الإسلام في الغرب، فقد قام خادم الحرمين الشريفين بالدعوة إلى مؤتمر عالمي لحوار الأديان، تم عقده في مدينة مدريد الإسبانية دعا إلى التسامح والحوار بين الأديان لضمان استتباب الأمن والسلام في العالم، حيث لاقى هذا الاجتماع نجاحا كبيرا. ثم أردف ذلك رفع الموضوع إلى الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة التي تدارسته وأقرت توصيات ما تم في مدريد، مما أعطى لهذا الموضوع بعدا عالميا يعين المنظمة في جهودها الحثيثة في مناهضة ظاهرة الإسلاموفوبيا. وبعد وقت قصير قامت المملكة العربية السعودية بإنشاء مركز عالمي للحوار في مدينة ڤيينا في النمسا، تكون رسالته تنشيط الحوار والتواصل بين ممثلي الديانات في العالم.

توجيهات الإصلاح

● ما هو الدور المأمول من دول العالم الإسلامي لمعالجة اعتلالات الأمة ومشاكلها؟

○ إن كل ما حدث من تطورات وانتفاضات شعبية قد جاء بهدف إسقاط الأنظمة المستبدة نتيجة للكبت السياسي والاجتماعي لتلك الأنظمة، ولظروف التخلف الاقتصادي الذي عانت منه الجماهير لفترات طويلة. وتدل الأحداث التي توالت منذ قيام هذه الانتفاضات على أن طريق الشعوب لتحقيق الديمقراطية والحكم الرشيد لن يكون سهلا أو مفروشا بالورود ولكنه يتطلب تجشم المصاعب والأخطار الجسيمة. ولكن هذه التضحيات، وإن طالت، ستؤول في نهاية المطاف إلى تحقيق المطالب، والوصول إلى نوع من الديمقراطية يتماشى مع قيم الإسلام الحنيف. والمخاض الصعب الذي تقوم به بعض الشعوب اليوم ليس أمرا نادرا أو فريدا من نوعه، فقد شهدت دول أخرى في العالم مخاضات مماثلة في إطار التطور البشري، وخاصة بعد سقوط جدار برلين، ونهاية القطبية الثنائية التي كانت تسود العالم إبان الحرب الباردة. وكما سبقت الإشارة، فإن خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله، قد قدم في القمة الإسلامية الاستثنائية الثالثة التي عقدت في مكة المكرمة في ديسمبر ٢٠٠٥ توجيهات سامية لوضع برنامج خاص بإصلاح مسار الأمة الإسلامية في جميع الميادين وتدارك مكامن الخلل والمعوقات التي تعترض سبيل الأمة الإسلامية نحو التقدم والتنمية والازدهار. ومن المطلوب من الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي الآن الإسراع في وتيرة التنفيذ الصادق لبنود البرنامج العشري المذكور.

وتعتبر هذه المبادرة السامية أنجع الطرق العملية وأفضلها للنهوض بالأمة الإسلامية، حيث ينتظر منها الكثير لنبذ التواكل والتقاعس، والإسراع في العمل الإسلامي المشترك الذي رسمه البرنامج العشري، لمعالجة اعتلالات الأمة ومشاكلها.